تـــــــــــاج مـــــــــحـــــــل

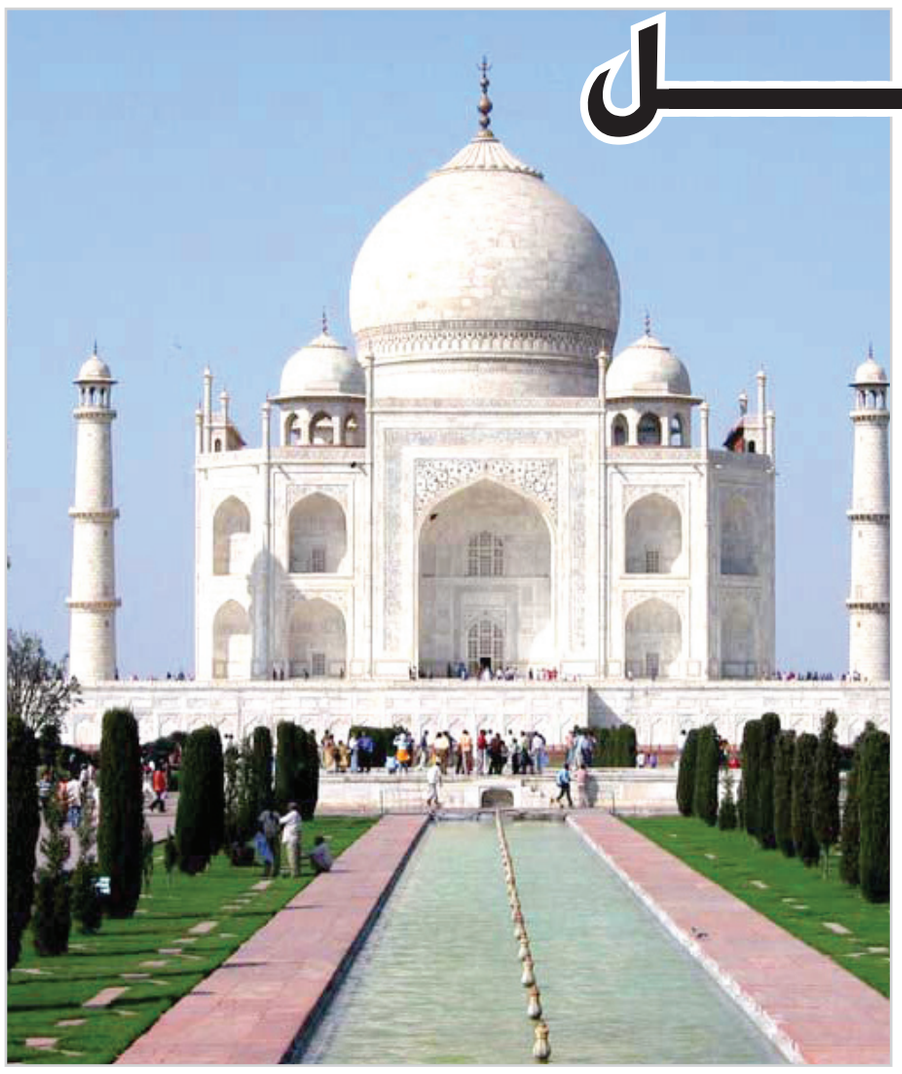

غيليز تيلوتسون
ترجمة: ابتسام عبد الله

في (الفردوس المفقود) لميلتون تنكشف مدينة أغرا لادم بعد السقوط، كاحدى العجائب التي يخلقها الله في المستقبل كان ذلك الامر غير قابل للتصديق في القرن السابع عشر، فمدينة اغرانمت واصبحت مدينة كبيرة وواسعة ضاهت اسطنبول ولندن وباريس حيث بلغ عدد سكانها مليونين شخص في مساحتها كانت فيها مجموعة متتالية من القصور برائحتها الطيبة العطرة والحدائق والزهور الجميلة الممتدة على ضفتي نهر يامونا، وكما يقول مؤرخ المغولي عبد العزيز، كانت المدينة اعجوبة الزمان، مع كونها مركزاً للتجارة القادمة من البر والبحر وفضلا عن كونها نقطة تلاقي القديسين والباحثين من شتى ارجاء اسيا ومنارة حقيقية للفنانين والمتعبدين والادباء.

كان الامبراطور شاه جيهان (١٦٦٦-١٥٩٢) مسؤولا عن جوهرة، الواجهة المائية لاغرا وجميع مافي في الامبراطورية المغولية ونعني بذلك، التاج، الذي صممه المهندس الاول لشاه منازع، استاذ احمد لاهوري وهو بلا منازع المبنى الاكثر اثارة للاعجاب في الـ(٤٠٠) سنة الاخيرة، انه عمل رائع لا يُضاهى، يرتفع عند نهر يامونا، كأجمل واشد تألقاً وبالغ الكمال كما كان عندما شيد عام ١٦٤٣، لقد بنى من مرمر ابيض احياء لذكرى ممتاز محل، زوجة شاه جهان المفضلة، وكلمات مؤرخ القصر محمد أمين قزويني، تظهر حبه الشديد والحميم لها والراحة التي كان يجدها معها ان قد تفوقت عن غيرها في حب الشاه الا لان المرات وهو لقب آخر لممتاز لها وكانت تلك السيدة رفيقة لها بشكل متواصل وموضع سره والصديقة الحميمة والحاكمة الناجحة في السراء والضراء، سواء كان مسافراً او مقيما. حينما كان شاه جيهان، تنتابه حالات نوبات من الغضب والقسوة (من اجل الاستيلاء على العرش تمرد ضد والده وقتل شقيقين له واولادهما اثنين من ابناء عمه، فانه في الحالات الاعتيادية كان اشد ملوك المغول رقة.

عندما كان صبيا في الـ١٥ من عمره، ترك تأثيرا على والده بذوقه في اعادة تصميم الاجزاء الامبراطورية في كابول، وكامبراطور شاب، اعاد بناء القلعة الحمراء بطراز امبراطوري جديد كان قد تعاون في تطويره، وخلال حكمه فان مشاغل قصره امتلأت بانواع الحجارة الثمينة والخناجر المرصعة بالمجوهرات وكان التاج ذروة حياته كراع للمعمار.

ويتفق معظم الباحثين المغولين ان ضريح ممتاز محل قد صمم ليكون نموذجا في الأرض عن مبنى فردوس اعد لزوجة الامبراطور في الجنة، وهو ايضا تعبيراً عن دعاية سياسية تظهر قوته وعبقريته الذوق الجميل له ولاسرته. وكتب (القزويني) قبة شيد باسلوب رفيع، ومبنى رائع الطراز ان عين العصر لم تشهد مثله تحت السماء الزرقاء، وان اذن الزمان لم تسمع شيئا شبيها له في العصور الماضية لذلك فانه سيكون الافضل بناءاً لعدة قرون قادمة، مثيرا لدهشة الانسانية المتزايدة.

وعلى الرغم من شهرة المكان فقد كتب القليل عنه، وكتاب غيليز تيلوتسون هذا يعد دون سؤال، افضل مقدمة ظهرت عنه حتى اليوم يقع تاج محل على ضفاف نهر يانونا، حيث تبدو مدينة أغرا اشبه ببندقية الشرق وكتاب تيلوتسون قد افاد من دراسة ايبا كوج في مسألة البناء متوصلا الى تحليل الرؤى المتعددة للتاج حسب وجهة نظر الافراد.

في المرحلة الزمنية لشركة الهند الشرقية رسم فنانون بريطانيون ومنهم توماس دانييل وابن خاله ويليام عددا من الرسومات عن تاج محل، واشجار انكليزية غير معروفة في الهند تحيط به، وفي العصر الفيكتوري ذهب الانكليز ابعد من ذلك، وبما ان القرن التاسع عشر كان التمييز العنصري فيه واضحا فان الانكليز وضعوا نظرية جديدة بشأن تاج محل الذي لم يتأثر بأي سمة من سمات المعمار الاوروبي تقول هذه النظرية انه في الحقيقة عمل من صنع معماري اوروبي وهو إما اوستن اوف بوردو او جيرونيمو فيرونيو، والاثنان عاشا في سنوات تشييد الضريح في أغرا.

وقد فعل الهنود الشيء نفسه في القرن العشرين اذ وجدوا ان عملاً رائعاً مثل تاج محل لا يمكن تشييده من المسلمين، وهكذا اقنع المؤرخ المعماري رام ناث نفسه بأن التاج ليس تراثا اسلاميا كما يدعي بل انه نتاج الحضارة الهندية القديمة.

في العام ١٩٦٨ ظهرت كتابات تتضمن وجهة النظر هذه انه (قصر هندوسي)، وكان صاحبها اوك مؤمنا ايضا ان جميع المباني الاسلامية الاثرية عبر اسيا هي ايضا كذلك، ولم يقتصر خياله عند ذلك الحد بل امتد ليشمل اوروبا وامريكا.

ومن الامثلة على مدى خصب ذلك الخيال، قوله ان كاتدرائية ويستمتسر هي هندوستانية الاصل كذلك المباني الاثرية في ايطاليا، وتنتشر هذه الكتابات في مواقع الانترنت، بل ان بعض الهنود يطالبون بتحويل تاج محل الى معبد هندي.

وبسبب تلك الادعاءات فان كتاب غيليز تيلوتسون الموجز المتسم بالبحث الدقيق، يعد بمثابة جواباً لذلك الهراء والحكايات المختلفة بشأنه، لذلك فهو كتاب ممتع جدير بالاقتناء.

عن الصنداي تايمز

أمـــــريـــــكـــا أمـــريـــكـــا

إيثان كانين
ترجمة : هاجر العاني

هـا هي أخـيراً روايـة سياسيـة حقيقية ، يظهـر هـذا الكتاب في ظـل تمحيصه المكثـف نقطة تحـول جذرية في التاريـخ الا وهـي التـآكل المطـّرد لقـوة الحزب الديمقراطي مـا بعـد الرئيـس (نيكسـون) الى يومنا هذا وسكرات موت امريكا الليبرالية وهيمنة رأسمالية الطبقة المناهضة للعمل ، وبرغم ان الكتاب يصطاد الهـدف العظيم الشائك الا ان ثقة متداعية هي في الواقع وسواس مبالـغاً في صقله – يمنـع أو يمنح كتاب (امريكا امريكا) الطمـوح لـ (إيثان كانين) من الانطلاق منتصراً اخيراً.

واذ تروي الرواية (كوري سفتر) من موقع الأفضلية لـلادراك المتأخر الذي منحتـه اياه الـ (٣٥) سنة التـي انقضـت بـين الاحداث الحاليـة والوسطية للكتاب فإنه يقص كيف ان (سفتر) البالـغ (١٥) وهو من عائلة من الطبقـة العاملة تشتريه عائلة (ميتاري) الثرية ثراءً ضخماً والمتحـررة كشخص محمي من البطرياركِ (ليام) ميتـاري . وهـم يبـدأون اولاً كوضيعين في ملكيتهم الشاسعة المشجرة في (سالـين) بولاية نيويـورك يتم اعطاء (سفتر) وجهـة نظر مغلقـة جزئياً للحظة التاريـخ حينمـا يمكن لـكل شـئ ان يأخذ انعطافـة مختلفـة ، وفي وقـت مـا عندما تبـدأ حرب فيتنام بـأن تصبح غير شعبية بالنسبـة للشعـب الامريكي لكـن فضيحة (ووترغيـت) لم تحـدث بعـد يقـرر (ليـام ميتاري) ان يقدم ثروته ونفوذه الى حملة السيناتـور (هـنري بونويلـر) مـن اجل الترشيح عـن الحزب الديمقراطي لمنصب رئيـس الولايات المتحـدة ، و(بونويلر) – وهـو ليـبرالي – معارض بخبـث للحرب وصديق حقيقي للنقابات والطبقة العاملة .

غير ان وفاة شابة هي (جو ايلين تشارني) يتسبـب في انهيـار كل شـئ ، ويسحـب (بونويلـر) حملته وينتحر (ليام ميتاري) ويتم اعـادة انتخاب الرئيـس (نيكسون) لولايـة ثانية ومـا يزال هنـاك اشهر قليلة على معاهدة السلام في باريس ، واذ يخلط (كانين) الاشخاص والاحداث التاريخية الحقيقيـة مع اشخاصه واحداثه الخيالية فإنـه لا يعالج شيئاً ادنـى من الانقسامات الحاسمـة والكبـيرة – المثاليـة مقابـل المذهب العملـي، والخير العام والعرضية الخاصة، و» الطبقة الرأسمالية» والطبقة العاملـة – (القسامـات) السياسـات الامريكيـة في النصـف الاخير مـن القرن العشريـن ، و(سفتر) الـذي هو الآن ناشر صحيفـة (ذا سبيكـر- سينتنـل) المحليـة بشمـال نيويورك ومتزوج مـن ابنة (ليام ميتـاري) الصغـرى (كلارا) يسـأل نفسه مـا الـذي حدث فعلاً ، ومـا مـدى استحقاق (بونويلـر) لتلقـي اللـوم علـى وفـاة (تشـارني) ؟ ومـدى تواطـؤ (ميتـاري) ، ولـو على مضض منـه ، في حجب الامور لاجل المجئ بمرشح ليـبرالي الى السلطة ؟ وهـل كانت يـد (نيكسـون) الملوثة وراء سقوط السيناتور (بونويلر) ؟

ولكن حينما يتأمـل (سفتر) بهذه الاسئلة وفي دوره كشبـه صديـق حميـم لـ (ليام ميتـاري) يبالـغ (كانـين) في لعـب ورقة الدخيـل ذي الدرايـة الناقصـة والاجوبة التـي نحصـل عليهـا توجههـا بشـكل عنيـد توجهـا مبالغـاً فيه كاجوبـة مؤقتة وافتراضيـة وعرضـة للشك بحيـث ان (سفـتر) يعـبر كجاهـل وأحمق متذلـل بشكل يثير السخط ، والاستبدال المحموم بـلا ضرورة بـين ذلك الوقـت والآن يدعم القصة مـن اجل ان يستطيـع (سفتر) في الوقـت الحاضـر ان ينغمس في عدد وافر مـن «لربما» و»من المحتمـل» و»ربما» و»لا اعلم» و»لا يمكنني ان اكون متأكداً».

انه امر ينشر بشكل فطري، القوة والطاقة المعنويـة المسلـّم بها لروايـة تعتبر شيئاً نادراً بشكل لا يصدق في الادب القصصي الامريكـي المعاصـر – كتـاب عـن كلاً من النظام الطبقي والطبقة العاملة .

عن التايمز

جـــــراحٌ سـبـبـهـا اســـــــوداد الـــنـــفـــس لا الـــبـــشـــرة

توماج هوج
ترجمة: ايمان قاسم ذيبان

ما جدوى أن أعيش وقد خططوا مسبقاً لمنهاج حياتي ، ماجدوى أن أدرس ، أن أتعلم لأصبح في النهاية عبداً لمنزلٍ أبيض ، منزل جدراني لا منزل روحي ، تقطنهُ عائلةٌ مشتتةُ المفاهيم أصغرهم طفلٌ يناهز عمري هو السيد وأنا الخادم .. لا فرق بيننا سوى ألوان بشرتينا .

بعد مضي خمسة قرون ، أقتفى الكاتب هوج توماس من جديد آثار التجارة الأطلسية للعبيد التي لازال الغرب يشعر بنتائجها إلى اليوم : ففي الكنيسة الصغيرة لمدينة برو وتحديداً في مقاطعة بورج – أون – بريس اندلعت ثورة لوران دو جوري فورد ، مستشار الإمبراطورية المتوفى عام ١٥٢٩ . كان جوري فورد من أقارب الملك شارل كوين ، وأصبح نتيجة هبات العهد الملكي فاحش الثراء . وفي شهر آب عام ١٥١٨ ، منحهُ الملك الشاب ، وعن طريق عقد رسمي ، الرخصة بنفي أربعة الآلف عبد من وطنهم الأصل (أفريقيا) وتقييدهم بسلاسل حديدية لضمان رحيلهم إلى الإمبراطورية الأسبانية . كانت هذه المرة الأولى التي يُسمح فيها للقيام بمَثل هذا العمل وبهذا العدد الضخم .

لم يكن جوري فورد تاجراً، بل على العكس ، لم يستفد شيئاً من هذا القانون ، لذا خول أمين خزنة (جازا كونترا تاكيون) بتنفيذه وهي المنظمة المسؤولة عن إدارة وتنظيم حركة العبور بين اسبانيا والعالم الجديد . تنازل الأخير عنه إلى مجموعة من تُجار الجملة؟. هكذا ومن دون اعتمار البحار، أصبح زعيمهم المتملق المنسي (رجلٌ من الطراز الأول) لتوظيف أمواله في بيع وشراء العبيد.

بعد عامين أو ثلاث ، استلم نبيلٌ من مقاطعة سافويارد مبالغ مالية من ملك أسبانيا المولود في فلندة وبدوره منح جزءاً منها إلى صديقة غاستيان . عقد الأخير صفقة مع الجثويين الذين طلبوا من البحارة البرتغاليين جلب العبيد وكانوا يُلقبون أيضاً بالأسرى . إذاً كيف لأيٍّ منا أن يتصور حفاوة الموضوع وصعوبته من دون هذا المثال المختار من هوج توماس ليستهل بها قصته الرائعة عن العبيد في الغرب؟

فمنذ منتصف القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر ووفقاً للتقديرات المثبتة من فيليب غورثان في ستينيات القرن العشرين ، تم نفي أحد عشر مليون أفريقي . وفي الوقت الحاضر ، بات المرء مُلماً بأدق تفاصيل هذه التجارة التي استمرت بالازدياد بينَ أوساط العامة على الرغم من تقديماتها الخاطئة أو المثيرة للسخرية . لاسيما في فرنسا ، حيث مزجت (سياسات الاستتار الطويلة والذكريات المؤلمة عن التجربة الاستعمارية وتكرار الأنظمة نفسها) مع تقديمات هذه الدراما فالفرنسيون لازالوا يتذكرونَ ردود الأفعال المثيرة للجدل بشأن نشر كتاب تأريخ العبيد الكامل. لهذا السبب أُعيد نشر هذا العمل وتُرجم إلى لغات عدة.

جرى كل شيء في البرتغال في عام ١٤٤٤ وتحديداً في الجنوب الغربي من منطقة الغارف ، عندما نقل البحارة ٢٣٥ سجيناً اعتقلوا في مدينة تُعرف حالياً بـ (موريتانيا) حينئذ كانت الغزوات شيئاً شائعاً في بلدانً البحر المتوسط ،وفي العصور الوسطى . والغريب أن الأوروبيين في تلك الفترة بدأوا وللمرة الأولى بالحصول على العبيد مباشرةً من أفريقيا السوداء. وبعدها أوقف البرتغاليون احتكاراتهم واكتفوا بشراء المحكومين . ولا ننسى بأن الأمر الذي ضاعف من رقعة هذه التجارة هو اكتشاف الأمريكيتينَ وانهيار النظام الأحصائي لدى الشعوب الهندو- أمريكية . هكذا بدأت غالبية القوى الغربية بالإستثمار هناك . ومن جملة الإنتقادات التي وجهت لفكرة استغلال (تجار العبيد) ، رأي التاجر الإنجليزي ريتشارد جونسون عندما أبحر في نهر السنغال عام ١٦١٨ قائلاً :»نحن شعبٌ لا يتاجر بهذا النوع من الممتلكات» . يا لهُ من تناقض ، فبعد عقود عدة ، امتلكت انجلترا أول قوة من الزنوج في الغرب كلها.

افادات ضخمة :-

في البرازيل ونهر الكاريبي ، أدى قبل هذا التعاون ، شهد انتشار الكراسة التي تصف قارب بائس لزنجي يُدعى بروكس صداً مدوياً في أنحاء أوروبا جميعا. وللمرة الأولى ، تجسدت حقيقة البيئة والوسط الإجتماعي اللتان تميزتا بالحقد والتطرف وسياسات الدم والحديد والتجرد من النزعة الإنسانية . بلا شك شكل هذا الحدث ، أحد الأمثلة القديمة المستخدمة بغية التأثير على الرأي العام . وبعد عشرون عاماً وتحديداً سنة ١٨٠٧ أرغمت بريطانيا على سن قانون إلغاء العبودية ، التي أصبحت من ألد أعداءها وأكثرهم شراسةً .

وبدأت عُقب هذا التأريخ فترة من الإنحسار والتقهقر والمقاومة السرية والأعمال التخريبية الليلية والكثير من السرقات ، بينما ظهرت أماكن مثالية في مناطق عديدة كما هو الحال في وضع مستعمرات التجهيز في أفريقيا في كلاً من سيرليون وليبيريا .

وبالتألق نفسه ، الف توماس هوج في عام ١٩٧٠ قصة عن تأريخ مدينة كوبا تجسد السنوات الأخيرة من الإستعباد على أراضيها . واستنتاجاً لهذه الفرضية الجسيمة ، فان من المهم القَول بأن عمل توماس امتلك بُعداً قياسياً لتقديم وجهاً ناصعاً لممثلي هذه الدراما جميعا. هذه الدراما التي ما أنفكت تلاحق ذاكرة الغرب منذ قرنين تقريباً . وهذا ما صرح به ويليام غرونفيل ، رئيس وزراء المملكة المتحدة المستقبلي عندما سُألَ عن رأيه في أحداث النصفَ الأول من القرن التاسع أمام مجلس الملوك وقال : «نستطيع ان نجزم بأن الكوارث التي سببتها تجارة العبيد خلفت ذكرى قاسية وجرحاً عميقاً ، يحذو بنا للشعور بالخجل منها» .

افريقيا تعاني من الجوع والحروب والامراض والفقر والتخلف والاستغلال والاستبداد والفساد والتبعية والتهميش والاقصاء والتمييز والعنصرية والعبودية والاستعباد والاستعمار والاستيطان والاحتلال والاستغلال والاستبداد والفساد والتبعية والتهميش والاقصاء والتمييز والعنصرية والعبودية والاستعباد والاستعمار والاستيطان والاحتلال